

فخري قعوار
ثلاثون عاماً من الإبداع
إعداد وتحرير
د. إبراهيم خليل



فخري قعوار والأدب الإسلامي مرة أخرى

في العدد الماضي نشرت مناقشة موسعة لمقال الأديب الأردني الأستاذ فخري قعوار الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب، الذي نشره في صحيفة الدستور بتاريخ ١٢/٣/١٤١٧هـ - ٢٨/٧/١٩٩٦م عن الأدب الإسلامي. وقد اعتمدت - فيما اعتمدت عليه من مصادر - على أحدث كتاب صدر عن فخري قعوار، وهو: «فخري قعوار - ثلاثون عاماً من الإبداع» فقد جمع فيه محرره الدكتور إبراهيم خليل حوالي مائة مقال ودراسة وبحث كتبت عن الأستاذ فخري قعوار، ونشرت ما بين ١٩٦٥م و١٩٩٦م. وحينما أردت أن أنظر إلى ما لاحظته النقاد على هوية أدب فخري قعوار الإيديولوجية أو الدينية نقلت نصاً من هذا الكتاب نسب إلى الأديب المصري الراحل محمد عبد الحليم عبد الله، والمقال يحتل الصفحات من ٣٠٢ إلى ٣٠٦ من كتاب الدكتور إبراهيم خليل، وجاء في هامش الصفحة الأخيرة «نشرت هذه المقالة في مجلة (القصة) القاهرة، يونيو ١٩٦٥م، وانظر كتابه «ليالي الأنس» عمان.... إلخ.» والذي أفهمه من هذا - وأظن أنه لا يخالفني فيه قارئ - أن المقال الذي سجله الدكتور إبراهيم خليل في هذا الكتاب هو نفسه الذي جاء في مجلة القصة، لكن قراءة المقال لا تعطي هذا الانطباع، فأنت ترى ما يمكن أن ينسب إلى صاحب المقال، وما يمكن أن ينسب إلى الأستاذ فخري قعوار بسهولة ويسر.

بقلم / عبده زايد

فالفقرة الأولى من بداية المقال صفحة ٢٠٢ يمكن أن تنسب إلى الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله، وهي تقع في أقل من خمسة أسطر، وقد استشهدت بها كلها في بحثي السابق، وبقيّة الصفحة من كلام الأستاذ فخري قعوار، ثم يبدأ في الصفحة التالية كلام صاحب المقال. ومعنى هذا أن الدكتور إبراهيم خليل لم يأخذ هذا المقال عن مجلة القصة مباشرة، ولكنه أخذ عن كتاب الأستاذ فخري قعوار «ليالي الأنس» المطبوع في عمان ١٩٩٠م، وهذا لا يتفق مع عبارة الإحالة «نشرت هذه المقالة في مجلة (القصة)»، ولو نسب هذه المقالة إلى كتاب «ليالي الأنس» ابتداءً باعتباره مرجعاً وسيطاً لكان أدق، والدكتور إبراهيم خليل أستاذ جامعي ولا يخفى عليه أسلوب الإحالات، فالمرجع الوسيط قد تنقصه الدقة، أو قد يتدخل فيما ينقل بالزيادة والتنقص، والتغيير والتبديل، والإحالة إليه تعفيه من مسؤولية أي تغيير في المادة المنقولة، وإن كانت لا تعفيه من التقصير في الأخذ عن المصدر الأصلي الذي نشر فيه المقال.

ومع كل هذا اعتمدت على ما نشر في هذا الكتاب، ونسبتُ إلى الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله أنه لاحظ على الأستاذ فخري قعوار منذ وقت مبكر أنه فتن بفكرة العدالة والتقدم، وانتصر للعمال والفلاحين وسائر الكادحين، وأعجب بالأممية والفكر العلمي، وأن هذا الذي لاحظته الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله يلتقي مع ما سجله الدكتور إبراهيم خليل في آخر دراسة له عن أدب فخري قعوار حين يقول: «وهو في كل ما يكتبه يصدر عن موقف سياسي وأيديولوجي منحازاً إلى الجماهير الكادحة» (فخري قعوار دراسة في فنه القصصي ص ٧٨ دار الكرمل - الأردن ١٩٩٦م).

ولكني لم أكن مستريحاً إلى ما نسب إلى الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله، فالدكتور إبراهيم خليل لم يحدد ما الذي ينسب إلى كاتب المقال، وما الذي ينسب إلى فخري قعوار، ربما لأن المرجع الوسيط لم يحدد ذلك تحديداً دقيقاً، وهو يفتح علامات تنصيص في بداية المقال وفي بداية بعض الفقرات ولا يغلقها، ويهمل بعض الفقرات فلا يقدم لها بعلامات تنصيص، ويختم المقال بعدد محدود من الكلمات في سطر وبعض سطر، ويضعها بين علامتي تنصيص!!

وبسبب من هذه الريبة حاولت أن أرجع إلى مجلة القصة التي نُشر فيها المقال، ولكن هذا لم يتح لي إلا بعد أن دخل العدد الماضي إلى المطبعة، وعندما قرأت ما كتبه الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله في ص ١٣٦ من مجلة القصة - يونيو ١٩٦٥م وجدت أنه حدث تغيير وتبديل، وإضافة وحذف إلى ما قاله الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله، وأن الملاحظة التي نسبتهما إليه بناءً على ما جاء في مقاله الذي نشر في كتاب الدكتور إبراهيم خليل لم ترد في مقاله لا تصريحاً ولا تلميحاً، والعبارة كما وردت في مقاله المنشور في المجلة هي: «ليس

كاتب هذه القصة غريباً عني، قرأت له في مجلة «الأدب» مقالات وقصصاً، وعندما قرأت مقالاته حسبت أنه تجاوز دور الشباب الغض، أو على الأقل أتم دراسته الجامعية».

لكن الجملة الأخيرة تحولت في كتاب الدكتور إبراهيم خليل إلى: «أتم دراسته في الاتحاد السوفياتي، ففتن بفكرة العدالة والتقدم، وانتصر للعمال والفلاحين وسائر الكادحين الذين ترتبط جذوري بجذورهم، وأعجب بالأممية والفكر العلمي».

فمن المسؤول عن هذا التزوير الصريح؟ أهو الأستاذ فخري قعوار الذي نقل المقال عن كتابه «ليالي الأنس» فيما أرجح؟ أم هو الدكتور إبراهيم خليل؟

أكبر الظن عندي أن الأخير ليس هو المسؤول عن هذا، صحيح أن الرجل لم ينف أنه تصرف في المقالات التي ضمها هذا الكتاب بعض التصرف، فقد تحدث عن عمله في هذه المواد، وعن حدود تصرفه فيها فقال: «ولم يقتصر جهدي فيها على إعدادها للنشر، بل أعدت فيها النظر، وقومت سناد ما اعوج من عباراتها وجملها، فأبدلت لفظاً بآخر، توخياً للدقيق الفصيح في العربية، وقدمت وأخرت إثارةً للتركيب السليم القوي، واستبدلت تركيباً صحيحاً بآخر خاطئ، وحذفت من النصوص ما يرتبط بطبيعتها من حيث هي مقالات نشرت في صحف سيارة، وعمدت إلى تغيير الطابع الصحفي للفقرة القصيرة، بأن قمت بدمج عدد من الفقرات في فقرة واحدة أكثر طولاً مع تغيير ما يتطلبه هذا من تعديل في بعض العبارات أو الجمل» (ص ١٨).

ومع أن هذا التصرف يفقد القيمة الوثائقية لهذه المواد، فإن ما أباحه لنفسه من تصرف لا يدخل فيه نسبة شيء إلى أحد لم يقله، ومن هنا فأنا أظن أن المسؤول عن هذا التغيير والتبديل والتقول على الأستاذ الراحل محمد عبدالحليم عبدالله هو الأستاذ فخري قعوار نفسه، وقد بحثت عن كتاب «ليالي الأنس» لأثبت من هذا الظن، ولكني لم أوفق في العثور عليه. فإن كان ظني صحيحاً فإن هذا يثبت - ولا ينفي - الهوية الإيديولوجية لأدب الأستاذ فخري قعوار، بما سجل على نفسه ونسبه إلى أديب كبير لم يعد قادراً على أن ينفي عن نفسه ما نسب إليه زوراً.

ومع أن الدراسة في الاتحاد السوفيتي ليست هي المصدر الوحيد للفكر الشيوعي أو الاشتراكي أو اليساري، وأن فكرة العدالة والتقدم والانتصار للعمال والفلاحين والاممية والفكر العلمي، وسائر مفردات القاموس الشيوعي كانت تنتشر في كثير من بقاع الوطن العربي، وأن كثيراً من الكتاب والصحفيين والأدباء والنقاد كانوا يفخرون بانتمائهم إلى هذا الفكر التقدمي ويقاثلون دونه، فإن فكرة الدراسة في الاتحاد السوفيتي كانت لها أهمية خاصة لمن ينتمي إلى هذا الفكر، ومن هنا تحولت عبارة «أتم دراسته الجامعية» في مقال محمد عبدالحليم عبدالله المنشور في مجلة القصة إلى «أتم دراسته في الاتحاد

بسم: فخرى قعوار

الرفاق

تقديم

محمد عبد الحليم عبدالله

لست كاتب هذه القصص تقريباً عني - فقرأت له و مجلة «الأدب» مقالات وقصصاً - وعندما قرأت مقالته حسنت أنه تتناول دور الشباب الذي لم يزل

لكنني حين التفت به في المقابلة كنت قد تبادلت حديثاً مع أستاذي له في التسامح منذ «من العبر» وأذا كان هناك علاقة بين العبر والتفكير فإن هناك أيضاً تعاون بينهما. فقد هذه العنصر مائة لست قصة أشبه بالروايات الواسعة تنمطها «الجنة» - وليس وأحد البعض بالشفقة والمهارة والتوفيق - بل قد عا -

من التوفيق - بل قد عا -

وربما من لي أن أسأل نفسي: هل يستطيع هذا الشاب أن يكتب شعراً؟ أنا أعرف أن الشعر في الغالب العربية ناشئة، من أسبق العيون فهو قبل في العنصر وأنه مستلزم وسحب - وأذا كنت قد تعرفت فخرى قعوار كاتبة وكاتب قصصه فاني أرجح أن له نصفاً من الفصاحة على النظم المبدئي والجمع الجديد - هذا هو - لكن الذي أريد أن أخلص إليه هو أن صاحب هذا القلم يحسن في أحاسيس وحدايق هي - يطلب الشعر الأدبي ويسعى إليه ويشتد الصدور التي طالت بوقته النقص

وهذه الإجابة هي ما يحضر الشاغل - وتتراوح جودة أعمالهم في كل نوع أدبي من الإبداع والبراعة والإبداع - ثم - قد سأل أحدهم نفسه أو غيره من الناس عن أحد ماكتب وما ينبغي أن يكتب له -

هو أن الجواب ليس عند الناس بل عند الكاتب نفسه - «أستغنى» إلى وطء الأدبي بعد أن أجود حول كل الإطوار - سينتهي بعد فترة ما من الوقت - في ذلك من طء - الإبداع الإنساني - وسيفتح جاعداً حتى بعد

■ صورة من مقدمة الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله لقصة الأستاذ فخرى قعوار كما نشرتها مجلة «القصة» عدد الطلائع يونيو ١٩٦٥م ص ١٣٦.

■ صورة من مقال الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله عن قصة الأستاذ فخرى قعوار بعد أن تغير اسمها وأضيف إلى المقال ما ليس منه، (عن كتاب: فخرى قعوار ثلاثون عاماً من الإبداع للدكتور إبراهيم خليل ص ٣٠٢).

حزنة ثلاثة رجال

محمد عبد الحليم عبدالله^١

ليس كاتب هذه القصص تقريباً عني - فقرأت له في مجلة «الأدب» مقالات وقصصاً - وعندما قرأت مقالته حسنت أنه تتناول دور الشباب الذي لم يزل

وفي كل هذه الأشاء، لم تكن أعرف جيداً أنني أجود حول القصة القصيرة التي ستكون محور عنايتي وأهتمامي - كنت أكتب القصص القصيرة إلى جانب الرواية المشار إليها إلى جانب عرض الكتب والمقالات القصيرة مع القيام بنزعة بعض القصص القصيرة عن اللغة الانكليزية إلى اللغة العربية والحق أقول، أنني كنت خروفاً في وقت معكرو، حين أرسلت بعض محارلاتي الكتابية - قصص ومقالات ومترجمات - إلى مجلة «الأدب» الأسبوعية، ومجلة «القصة» الشهرية - بالإضافة إلى مجلة «الأفق» الجديدة الفلسطينية - وكانت هذه المجلات تنشر ما يرسله طالب المرحلة الثانوية الذي كنته إلى أن فوجئت ذات مرة بمقدمة طويلة بكتابتها الروائي المعروف الراحل محمد عبد الحليم عبد الله قصة لي نشرتها مجلة «القصة» بعد أن التفت به مرة في أواخر عام ١٩٦٤ عندما كنت أبحث عن مقدم في إحدى جامعات القاهرة.

(١) قاضى وكانت رواية قصيرة - معروف صدرت له «الرفاق» كثيرة منها «القصيدة السوداء» و«شجرة القلوب» و«الطوبى» و«أوراق الزند» و«مروءة»

السوفيتي... إلخ» كما جاء في المقال بصورته المنشورة في الكتاب. ويبدو أن هذا كان حتماً عند الأستاذ فخرى قعوار، ولكن لم يتحقق، فأراد أن يبرهن وبشهادة منسوبة زوراً إلى الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله أن أدبه يحمل بصمة من درس في الاتحاد السوفيتي، واستوعب هذا الفكر وفتن به وانتصر له.

إن الهوية الإيديولوجية لأدب الأستاذ فخرى قعوار لا تعتمد هنا على شهادة ناقد، يمكن أن تثبت أو تنفي أو تناقش وتراجع، ولكنها تعتمد على اعتراف الأديب نفسه، والاعتراف سيد الأدلة كما هو معروف في لغة القانون. لكن الغريب في الأمر أن الكتاب الذي اعتمد عليه الدكتور إبراهيم خليل قد طبع بعد ربع قرن من نشر المقال، وبعد أن كتب عن أدب الأستاذ فخرى قعوار الكثير والكثير، فما الذي يجعله يستنطق الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله بما لم ينطق به ويتقول عليه ما لم يقل؟ أليثبت أن البصمة الإيديولوجية في أدبه ليست حادثة ولا طارئة، وإنما هي واضحة بيئة منذ بداياته الأولى وبشهادة أديب كبير؟ ربما.

■ ■ ■

أما إذا لم يكن ظني صحيحاً في نسبة هذا التغيير والتبديل إلى الأستاذ فخرى قعوار - وهو احتمال بعيد - فإن الدكتور إبراهيم خليل يتحمل هذه المسؤولية، ليؤيد بهذه الشهادة المزورة استنتاجه الذي انتهى إليه في أحدث دراسة له عن أدب فخرى قعوار، ولا يعفى الأستاذ فخرى من المشاركة في هذه المسؤولية، لأنه رأى التغيير والتبديل وسكت عنه.

وأياً ما كان الأمر فإن الأديب فخرى قعوار لم يدفع عن أدبه الهوية

الإيديولوجية، ولم يدفع عنه أيضاً الأثر الديني الذي سجله أكثر من ناقد، منهم الدكتور إبراهيم خليل والدكتور عبد الرحمن ياغي والأستاذ منذر رشراش، وهذا يتعارض مع ما ذهب إليه

في مقاله عن الأدب الإسلامي، حيث نفى أن يكون هناك أدب يمكن أن ينسب إلى دين من الأديان، أو أن نسبة الأدب إلى دين تنفي مبررات وجوده، فإذا سلم - ولو بالسكوت - بنسبة أدبه إلى أيديولوجيته أو إلى دينه، ولم يدفع عن نفسه هذه التهمة - إن كانت فعلاً تهمة - فإنه كان ينبغي أن يسلم - ولو بالسكوت أيضاً - إذا ما نسب أدب آخر إلى دين آخر.

■ ■ ■

ثم إن هناك أمراً آخر أريد أن ألفت النظر إليه هنا، وهو أن القصة التي نشرت في عدد الطلائع، وانتدب لها الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله لينقدها - كما انتدب غيره من الأدباء والنقاد لينقدوا قصصاً أخرى، لشباب آخرين نشرت في العدد نفسه حسب المنهج الذي بينه الأديب الكبير الأستاذ محمود تيمور رئيس تحرير المجلة - لم يكن اسمها «حزن ثلاثة رجال» وإنما كان اسمها «الرفاق» ولقد ورد اسمها في مقال أو تقديم الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله، فلما أعاد الأستاذ فخرى نشرها في مجموعته «البرميل» الصادرة عام ١٩٨٢م غير اسمها إلى «حزن ثلاثة رجال» وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الرحمن ياغي في مقاله المنشور في كتاب الدكتور إبراهيم خليل (ص ٣٨٥).

لكن المقال الذي نشره الدكتور إبراهيم خليل منسوباً إلى الأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله وضع له العنوان الجديد «حزن ثلاثة رجال» دون إشارة إلى الاسم القديم، وحذف اسم القصة القديم من المقال، واستخدم بدلاً منه اسم الإشارة الذي يعود على الاسم الجديد. وكل هذا التغيير مما يهز الثقة في مدى مطابقة ما ورد في هذا الكتاب لما نشره أصحاب المقالات في حينها، حتى وإن أخذنا في الاعتبار تلك التغييرات التي أشار إليها الدكتور إبراهيم خليل في مقدمة الكتاب.